إسهامات الجزائريين في النقد الأدبي القديم

ــ الغبريني أنموذجا ــ

د. محمد منصوري
جامعة الحاج لخضر - باتنة-

تمهيد :

بدأ تميز الشخصية الأدبية الإفريقية منذ العهد الفاطمي، وازداد تمكينا في العهد الصـــنهاجي، وذلك ضمن التطور العام الذي شمل جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية، وبخاصة فـــي مجال الأدب، حيث << بدأ الأدباء في تكوين شخصية إفريقية مستقلة في النقـــد والأدب. إذ برزت في هذا العصر أول حصيلة نقدية شارك فيها الحصري بكتابه : " زهر الآداب " ، وإن لم يبلغ فيه ما بلغ معاصروه وتلاميذه كالنهشلي، وابن رشيق، وابن شرف، إلا أن للحصري فضل المبادرة، علاوة على الميول لتقليد المشارقة >> (1).

ولا ريب أن الخلفاء الفاطميين كان لهم دور مهم في تنشيط تلك الحركة الأدبية، حيث منحوا العطاءات والجوائز، فالتف حولهم الأدباء والشعراء ومدحوهم، << وقد كانت الجزائر فـــي هذه الفترة كافريقية نموذجا لحركة أدبية وعلمية نشطة، رغم ما ابتليت به من فتن سياســـية، كفتنة ابي يزيد بأوراس وغيره >> (2) .

وكانت بالجزائر مراكز ثقافية نالت شهرة واسعة في العهد الصنهاجي خلفاء الفاطميين فـــي إفريقيا، مثل : طبنة، ومسيلة، وتيهرت وغيرها، << ولكن المسيلة من بينها كـــان نشـــاطها الثقافي أعظم، وإقبال الأدباء عليها كثيرا >> (3). فمن مدينة مسيلة << هاجر الأديب الناقد أبو علي الحسن بن رشيق وإلى القيروان رغبة في الاستزادة من العلم والأدب >> (4). وفي عهد الحماديين، اشتهرت مراكز ثقافية نشطت فيها حركة أدبية مزدهرة، وهي: أشـــير (5) والقلعة(6) وبجاية(7). ومن القلعة هاجر الأديب : أبو عبد الله محمد القلعي، خرج منها إلى

1) الشويعر ، الحصري وكتابه زهر الآداب :27
2) بارح بونار ، المغرب العربي :281
3) نفسه .81.
4) نفسه .82.
5) أشير .مدينة تقع جنوب شرق البرواقية
6) القلعة : قرب مكان يدعى أبي طويل، وهي قريبة من مدينة مسيلة، أسسها: حماد بن بلكين.
7) بجاية : أسسها : الناصر بن علناس.

الاسكندرية ومصر (القاهرة)، وأقام بها زمانا، ثم رجع إلى المغرب. والأديب الطيب أبـو حفص عمر بن البدوح، هاجر منها إلى الاسكندرية، ثم دمشق(1).

ويعني ذلك أن البيئة في هذه المراكز، وبخاصة في بجاية، تهيأت لها ظروف الاستقرار أكثر من غيرها، فكانت محطة استقطاب للعلماء والأدباء، من داخل الجزائـر وخارجهـا، مـن الأندلس، ومن المشرق، فقد قصدها ابن خلدون والبكري(2) وكثير مـن مشـاهير العلمـاء. ووصفها العبدري في رحلته المشهورة، عندما مر بها سنة 688 هـ، بقوله : << وهذا البلد بقية قواعد الاسلام، ومحل حلة من العلماء الأعلام >> (3).

وما إن أدرك المدينة القرن السابع الهجري، حتى كانت بجاية مقصد طلاب العلـم، ومحـط الرحال لكثير من العلماء.

وهاجر منها إلى المشرق كثير من الأدباء، ومنهم << الفقيه الأديب أبو محمد عبـد الله بـن سلامة، هاجر من بجاية إلى البلاد المصرية، ثم التزم الرحيل عنها >> (4).

وفي هذه المدينة نشأ الغبريني، ودرس فيها، وترجم لأشهر علمائها في كتابه الموسوم بـ : "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " .

ترجمة المؤلف :

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني(5)، مع اختلاف في الروايات حول اسـم والده: أحمد أو محمد، ولد ببجاية أو ببني غبرين في سنة 644هـ، وتوفي في سنة 704هـ (6). .(6)

درس في بلده بجاية، التي كانت محطة أنظار العلماء في ذلك الزمن، وفقا للبرنامج الدراسي الذي كان متبعا في تونس الحفصية، وقد يكون << درس أولا القرآن، وعني بقراءته ورسمه، وتعلم القراءة والكتابة، وخلط ذلك بدراسة مبادئ العلوم والأدب، كما هي طريقـة إفريقيـة، وبجاية كانت تابعة لإفريقية في سياستها واتجاهاتها العلمية >> (7). تولى عـدة مناصـب،

---

1) أنظر : رابح بونار.المغرب العربي :285

2) البكري . كاتاب المغرب...المأخوذ عن المسالك والممالك: 82.

3) العبدري. رحلة العبدري : 23.

4) أبو رزاق. الأدب في عصر دولة بني حماد: 215.

5) بضم الغين (الغبريني) : نسبة إلى بني غبرين بمنطقة عزازقة بولاية تيزي وزو: 16

6) أنظر : عنوان الدراية ـ الديباج لابن فرحون ـ تعريف الخلف للشيخ الحفناوي، الأعلام للزركلي، الوفيات لابن قنفذ.

7) عنوان الدراسة :25.

منها: كبير القضاة في بجاية، وكانت له شخصية قوية ونافذة عند البجاويين، وقد قتله السلطان (أبو البقاء خالد) بسبب وشاية المقربين إليه، بأنه غير مخلص لدولة بجاية. وجاء ذكره في كتابات ابن خلدون، فقال عنه: << أنه كبير القضاة في عهده، وقد قتل غيلة بسبب المكايـد التي نسجت له >> (1)، وعده الشيخ الحفناوي شهيدا لأنه مات مظلوما (2).

التعريف بالكتاب :

شهرة المؤلف تعود إلى مكانته الاجتماعية المرموقة في زمانه، فهو الفقيه القاضـي، وهـو الأديب، وهو السياسي...وتعود أيضا إلى هذا الكتاب الموسوم بـ : << عنوان الدراية.. >>. أما عن جملة تآليفه أو مؤلفاته فقد قال عنها محقق الكتاب رابح بونار : << وقد بحثت عـن مؤلفات أخرى لأبي العباس، فلم أجد لها أثرا، ولم أجد من أشار إليها، ومن المسـتبعد أن لا يكون لمترجمنا كتب أخرى غير عنوان الدراية >> (3).

والكتاب بعامة يحوي تراجم لعلماء بارزين في مشيخة بجاية في القرن السابع الهجري، وقد زودنا في كتابه ببرنامج المشيخة المتمثل في نوعين من المعارف التي كانت تدرس فيها :

أ ــ علم الدراية، وهو كما قال : << جملة العلوم التي أحتاج إلى ذكرها في هذا الموضـع يحتمل الدراية، وهو علم الفقه، وعلم الأصلين : أصول الدين وأصول الفقه، وعلم العربيـة، وعلم التصوف، وعلم المنطق. هذه هي علوم الدراية التي أذكرها في هذا الموضع >> (4). .(4)

ب ــ علم الرواية، وتشتمل على : << علوم التفسير، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه وعلـوم العربية، وعلوم التصوف والتذكير >> (5).

أي أن: علوم الدراية، هي العلوم التي تحصل معرفتها بالاعتماد علـى المجهـود الفكـري، والتبصر في الأمور والاستنباط. وعلوم الرواية، هي العلوم التـي يتوصـل إلـى معرفتهـا بالرواية والسماع. وقد جعل اسم النوع الأول من المعارف " الدراية " عنوانا للكتاب.

والكتاب له شهرة واسعة في الأوساط الأدبية والفكرية، لاشتماله على تراجم العلماء في تلـك الحقبة من الزمن، وقد أشاد العلماء بالكتاب في مختلف القرون اللاحقة، وأشادوا بمؤلفه.

لكن الجانب الذي بقي خافيا في الكتاب، ولم يشر إليه أحد ، هو : الجانب النقدي.

---

1) تاريخ ابن خلدون :719/6

2) تعريف الخلف :20.

3) رابح بونار، مقدمة عنوان الدراية :35.

4) عنوان الدراية : 307.

5) نفسه: 25.

وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نبرز هذا الجانب .

منهجه في الترجمة :

خصص الغبريني كتابه <<عنوان الدراية...>> لتخليد مآثر علماء بجاية في عصره، أي (في المائة السابعة للهجرة)، وقد حصر دراسته في نوعية خاصة من العلماء الفقهـاء، والأدبـاء والمتصوفة، وكان يختار من نتاجهم الأدبي ما يثبت تفوقهم وخصوصـيتهم، وفقـا لمعـايير أخلاقية وفنية معينة، ومدعما مذهبه النقدي للعلماء باختيار نصوص شعرية عديـدة- كمـا سنرى-.

ويعني هذا الانتقاء أن المؤلف لم يكن اختياره للشخصيات العلمية والأدبية اختيارا اعتباطيا، بل كان اختيار ناقد خبير بما يقيد، اسمعه يقول : << أني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة، التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها، ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبداء للمسرات، أذكر منهم من اشتهر ذكـره، ونبـل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته >> (1) .

هذا هو منهجه في اختيار العلماء والأدباء، والترجمة لحياتهم، واختيار نصـوص من نتاجهم الأدبي ونقدها. << واخـتيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا اختيار الرجـل وافد عـقله>> (2) ، ويعـني هذا << أن فن التصنيف (الاختيار) لا يقل شـأنا عـن فـن التأليف >> (3). ثم إن الترجمة نوع أدبي يندرج ضمن الأنواع السردية الخبرية(4) والخبر لا يأتي دائما لغرض الإمتاع والمؤانسة، لكنه في الواقع قد يأتي أيضا لتوصـيل المعرفـة، وإدراك أشياء جديدة عن طريق إعمال الفكر والتأمل>> (5).

أحكامه النقدية من خلال التراجم :

ولإيراد بعض الأحكام النقدية في اختياراته وتراجمه للشخصيات العلمية والأدبية، نذكر :

1 ــ ترجمة عائشة بنت أبي الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسـني، قـال : وكانت له -رحمه الله -ابنة تسمى عائشة، كانت أديبة، أريبة، فصيحة، لبيبة، ومن شعرها :

أخذوا قلبي وساروا واشتياقي أو دعوني

لاعدا إن لم يعودوا فاعذروني أو دعوني

---

1) نفسه:55.
2) العقد الفريد : 2/1.
3) محمد منصوري ـ فن التراجم ...: 4.
4) أنظر : سعيد يقطين، الكلام والخبر:195.
5) نفسه : 201.

ويقال إنها بعثت بهما إلى ابن الفكون شاعر وقته، وقالت عارضهما أو زد عليها، فكتب لهـا معتذرا عن الجواب: إن الاقتصار عليهما هو الصواب (1).

الصور النقدية :

ــ في قوله : ومن شعرها، أي أنه اختار نموذجا وفق معياره من ضمن شعرها الكثير.

ــ كانت أديبة أريبة فصيحة لبيبة.

ــ طلبها من ابن الفكون معارضة البيتين.

ــ رد ابن الفكون : الاقتصار عليهما هو الصواب، لجودتهما.

2 ــ ترجمة أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الانصاري البجائي، قال عنه : << وسمعت عن الفقيه أبي المطرف بن عميره أنه قال :

أما الكتابة الأدبية فنحن فيها وإياه على نسق (يقصد أبا محمد عبد الحق بن ربيع ... المتوفى سنة 675 ه). وأما الشرعية فقد انفرد بها عن الناس، ولولا الإطالة لذكرت من كتابته الأدبية والشرعية >> (2)، ولكنه انتقى له من قصيدة صوفية طويلة أبياتا مختارة وترك ما عداها، منها ما يلي :

سفرت على وجه الجمـيل فأسـفرا وبدا هـلال الـحـسن مـنها مـقمرا

ودنت فكاشفت القـلوب بسـرها وسقت شراب الأنس منها كوثرا

ورأيتها في كـــل شيء أبـصرت عـيـنـاي حـتى عـدت كـلي مـبصرا

وسمعت نطق الناطقين فكلهم بالحمد والـتسـبيح عـنها أخـبرا (3)

وختم القصيدة بقوله : << قلت وهذه القصيدة حسنة المعنى قدسية المبنى >> (4).

فالحكم النقدي يتمثل في قوله :

ــ أما الكتابة الأدبية نحن فيها وإياه على نسق.

ــ أما الشرعية فقد انفرد بها عن الناس.

ــ انتقاؤه لأبيات مختارة أعطتنا ذوقه الفني.

ــ حكمه على القصيدة أنها حسنة المعنى، قدسية المبنى.

---

1) عنوان الدراية: 78.

2) نفسه :87.

3) يشير بالبيت إلى قوله تعالى : " وإن من شيء إلى يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" : الإسراء44.

4) عنوان الدراية :88.

ألا ترى معي أن المؤلف (المترجم) ، لم يكن ساردا لتاريخ حياة (المترجم لـــه) ومثبتـــا لسيرته بحياد تام، وإنما هو يبدي رأيه في سلوكه العام، ويبدي رأيه كذلك في نتاجه الأدبـــي بالاستحسان للجوانب الفنية الجميلة فيه.

3 ــ ونذكر -أيضا- ترجمته لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي ابن ميمـــون التميمـــي القلعي، فقد قاله عنه: << كان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثـــة : النحـــو واللغة والأدب، وكان له درس يحضره من الطبلـــة فضـــلاؤهم ونبهـــاؤهم، وتجـــري فيـــه المذاكرات المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وغيرها، وتمضي فـــي ذلـــك مـــن المعاني المنقحة ما لا يكاد أن يوجد مثله في نوادر الكتب. لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام، واستمتعت به كثيرا، قرأت عليه الإيضاح...وقرأت عليه جملة مـــن الأمـــالي، ومن زهر الآداب، ومن المقامات، وقصائد متخيـــرات مـــن شـــعر حبيـــب، ومـــن شـــعر المتنبي...>> (1) .

ومن شعره :

الخبر أصدق في المرأى من الخبـــر فمهد العـــذر لـــيس العـــين كالأثر

واعـــمل لأخرى ولا تبخل بمكرمـــة فكـــل شيء على حد إلى قـــدر

وخـــل عـــن زمن تـــخـــشى عواقبه إن الزمان إذا فـــكـــرت ذو عـــبر

وكل حـــي وإن طـــالـــت ســـلامته يغتاله الموت بين الورد والصدر (2).

وعلق على شعره بقوله: << وكان يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس، وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكانا يتراسلان الأشعار، ويجاوب كل واحد منهما الآخر على طريقته... >> (3)

ثم أضاف : << وشهرته بالأديب سماه بذلك الشيخ أبو الحسن الحرالي، وذكر أن سبب هذه التسمية أنه جرى بين يدي الشيخ رضي الله عنه ذكر ما قاله الرجل (واترك الريحان برحمة الرحمن للعاشقين). وتكلم في معناه، فقال بعض من حضر، أشار إلى العذار (4)، لأن ولوع

1) عنوان الدراية :95.
2) عنوان الدراية :97، الورد : قصد به الماء والذهاب إليه، الصدر : الصدور والرجوع عنه .
3) عنوان الدراية: 99.
4) العذار: الخد ـ الحياء .

القائل كان به، قال : فقلت إنما أشار إلى دوام العهد، لأن الأزهار كلهـا تنقضـي أزمانهـا، والريحان يدوم عهده .

فاستحسن ذلك الشيخ رحمه الله وقال : أنت أديب فجرى عليه اسم الأديب، وهو أكثر النـاس شعرا ... >> (1).

وتتجلى لنا أحكامه النقدية فيما يلي :

ــ تجري المذاكرات المختلفة حول : أبيات الغريب (أي تقويمها وإخراج نفائسها).

ــ المعاني المنقحة مالا يكاد أن يوجد مثله في نوادر الكتب.

ــ اختيار كتب للقراءة، منها : الأمالي، زهر الآداب، متخيـرات مـن شـعر أبـي تمـام والمتنبي...

ــ وفي النموذج المقدم اتضحت صلة الشاعر بأبي تمام، فقد حكم عليه بأنه ينسج على منواله، وقدم دليلا على ذلك:

الخبر أصدق في المرأى من الخبـر.....

فهو على منوال :

السيف أصدق أنباء من الكتب .....

ثم تأثر بشعر لبيد في قوله :

وكل حـي وإن طـالت سـلامـتـه .....

ــ تعليقه على شعره : << وكان يسلك ...>>

ــ تعليله لسبب تسميته بالأديب في قوله : << النص السابق >> .

4 ــ أما في ترجمته لأبي جعفر بن أمية فقد جاء فيها : << له تقدم في العلوم، وتفنن فـي علوم الحكمة، وعلوم الشريعة، وعلم الأدب، والعربية، وله كتابة بارعة، وأشعار رائقة.

أنشدني بعض أصحابنا من شعره في التحقيق هذين البيتين، وهما حسنان في معناهما، وهما :

ظهرت فلم تعرف لشدة غـفلـة عرضت فأنكرت النفوس ظهورها

ولقد أطالوا الخبط فيها عشوة(2) وهـي التي قد أشـهدتهم نورها(3)

وله شعر كثير في النسيب والحكمة والتصوف، ومما أستحسنه:

أأمسك دمعـا وقـد أرسـلـت علي مـن الهجر ريح عـقيم

1) عنوان الدراية : 99.

2) عشوة : عماية عن معرفة الحقيقة.

3) عنوان الدراية : 191.

غـفـت مـقـلـة الوصل إغفاءة كـنـومـة أهـل الـرقـيـم(1)
فإن كان نهج الرضـى مـائـلا فإن صراط المستقيـم مستقيم
وله مقلة نظرت في النجـوم قضت لي أن فؤادي سـقيم(2)

وله قصائد مطولات، ومقطوعات متخيرات، ولكن ليس المقصود من هذا التقييد الإسـهاب، وإنما هو الإشارة إلى الباب(3).

وتتمثل أحكامه النقدية في قوله :

ــ له تقدم في ... وعلم الأدب، والملاحظ أنه جعل الأدب علما كما كان هذا الرأي سائدا في البيئة الأدبية الجزائرية، والبيئة العربية بعامة، حيث كان ابن رشيق المسيلي قد استلهم هـذا الحكم من مفهوم الخليفة عمر بن الخطاب للشعر، فهو ديوان العرب، فعده << أكبـر علـوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته، وتمثل إرادته >> (4).

فالشعر ــ إذن ــ علم العلوم، لأنه ديوان العرب، يفيد علومهم، ويشهد عليها >> (5).

ــ له أشعار رائقة.

ــ حكمه على حسن معنى البيتين.

ــ استحسانه لأبيات النموذج الثاني : (أأمسك ... >>

يعطينا تصورا عن ذوقه الفني ، وثقافته، << ذلك أن فعل التلقي مشروط بثقافة المتلقي، التي هي فهم وحذق وإصابة وفطنة، أما القوانين فإنها مستنبطة من تذوق النص الشعري، وكاشفة عن عناصر الجودة فيه >> (6).

ــ المقصود هو الإشارة إلى الباب لتبين محاسن الشعر لتعرف قيمة الشاعر.

5 ــ وعرف ــ أيضا ــ أبا زيد عبد الرحمن بن علي بن أبي دلال بقوله :

<< .... وكان فقيه النفس، وكان أديبا شاعرا خطيبا، حسن النظم، وكانت له أخلاق حسـنة مرضية، ومن نظمه في بعض أصحابه هذه القصيدة السينية اللزومية، وهي قصـيدة سـهلة المأخذ، وهي خارجة اللزوميات، لعدم تكلفها، وقلة تعسفها >> (7).

---

1) أهل الرقيم : هم أهل الكهف ونومهم طويل (309 سنة) والشطر الأخير مختل الوزن.
2) عنوان الدراية :191.
3) عنوان الدراية :192.
4) العمدة : 193/1.
5) الجوزو ، نظريات الشعر .... : 249/248.
6) درويش ، رؤية نقدية ... : 3.
7) عنوان الدراية :206/205.

ونقتطع منها هذه الأبيات :

سرى النسيم نسيم النفـــــس والنــفسا ؟ فاستخبرن نشـــــره واستــفهمنه عسى
واســتعــمل الســير واســتمط أســرته واستصحب العيس واسرج للسرى قبسا
وسل سليلا لسيد الــناس كــاســمهــم أبا الحــســن السري الســيد الــدنسا
مسدي السؤال ومستدعي السجال سما فاســتــوطأ الســدرة السامية الــقدسا(1)

وهذه الأبيات التي هي جزء من قصيدة طويلة، حكم عليها أنها سهلة المأخذ لعدم تكلفها (قلة الصنعة) ، وقلة تعسفها (التعسف في المعاني) وخارجة اللزوميات (2).

6 ــ ونختار أيضا نموذجا آخر من التراجم الأدبية التي انتقاها الغبريني لمزايا أدبية وأخلاقية في الشخصية التي اختارها في كتابه << عنوان الدراية...>> وهي شخصية العالم الأديــب أبو الربيع سليمان الأندلسي المعروف بكثير، قال فيه : << .... وأما الأدب فشــأوه فيــه لا يدرك، سبق فيه أهل الزمان وأربى، ولمثله في الفصاحة والبلاغة تحل الحبى >> (3).

سمعت عن شيخنا أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه أنه كان يقول :

<< بلغ كثير في رتبة البلدان أن يكون كأوائل العرب، يحتج بشعره، وذلك لما كان انتهى إليه من الفصاحة والبلاغة حتى صارت له طبيعة، وكان سريع البداهة... وكان لسانا ناقدا علــى المؤلفين والمصنفين والمتكلمين، ومن جملة(نقوده) ما كان يقوله على كتاب الإحيــاء لأبــي حامد، يقول: ومتى ماتت العلوم حتى تحيى علوم الدين، مازالت حية ولا تزال، وكان إذا ذكر الشعر يقول : شاعر أعم من شيء، يشير إلى أن الشعراء كثير والمرضي منهم قليل>>(4).

قليل>>(4).

---

1) نشره : رائحته ــ أسرته : ج سرير، استصحبه : اتخذه مطية، العيس : النوق، الدنسا: الفهــم الــذكي، السجال: الدلو العظيمة (العطاء). استوطأ: داس السدرة السامية: هي سدرة المنتهى أي أن الممدوح وصل إلى منزلة رفيعة كسدرة المنتهى في الجنة في الجنة.

2) يريد بها : اللازمة المتكلفة، وهي أسلوب في الأدب أو الفن، يتميز بالتزام التكلف واعتياده، بحيث تبدو هذه اللازمة مميزة لمن يلتزمها، كالسجع وتكلفه عند بعض الأدباء، معجم المصطلحات : 313.

أو نقول : يريد بها تكرار عبارة معينة، أو مجموعة من أبيات في آخر كل مقطع أو دور شعري من القصــيدة، معجم المصطلحات : 287.

3) حبوه : ما يحتبى به، أي ما يشتمل به من ثوب أو عمامة، يقال : < حل حبوته > : أي قام، و< عقد حبوته > أي : قعد.

4) عنوان الدراية :239.

أما المواطن النقدية في هذه الترجمة فإنها تتمثل لنا في قوله :

ــ شأوه في الأدب لا يدرك، سبق فيه أهل الزمان وأربى.

ــ ولمثله في الفصاحة والبلاغة تحل الحبى.

ــ بلغ ... كأوائل العرب يحتج بشعره.

ــ يصدر الشعر عن طبع.

ــ لسانا ناقدا على المؤلفين والمصنفين.

ــ ومن نقده قوله في كتاب إحياء علوم الدين : ومتى ....

وبهذا التقديم التقويمي لنتاج (المترجم له) نستطيع أن ندرك منزلة هذا العالم الأدبية.

7 ــ ومن تراجمه كذلك ترجمته للعالم الأديب الفقيه: أبو علي الحسن بن موسى بن معمـــر، قال فيه : << كان أديبا لبيبا لسنا، فقيها فصيحا، مليح الحكاية، بارع الخط، حســن الــنظم والنثر....>> (1).

أنشد بين يدي المستنصر (الحفصي) قوله :

وا حسرتي في مقام بين أظهركم قوم رجاؤهــم باليـــأس مــفــضــوح

صدوا وسدوا عن المضطر بابهم ومــا دروا أن بــاب الله مــفــتـــوح (2)

فذرفت عينا أمير المؤمنين، وأظهر له وجه البر والرضى، وغفر له، وعفا عما مضى .

وقد علق الغبريني على ذلك العرض بقوله :

<< والبيت الثاني منهما مليح القصد، وأما الأول فظاهر فيه وجه النقد >> (3).

لم يقتصر عمله في ترجمته بعرض جزء من نتاجه الشعري، بل أصدر حكما نقــديا عامــا لإظهار جماليات نصوصه.

8 ــ وفي كتابه كذلك ترجمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ..... الشهير بابن الأبار، فجاء فيها : << ومنهم الشيخ الفقيه المحدث المقرئ النحوي الأديب المجيد اللغوي الكاتب البــارع التاريخي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار >> (4).

---

1) عنوان الدراية :255.

2) عنوان الدراية :256.

3) عنوان الدراية :256.

4) عنوان الدراية :257.

ومنها : <<هو من أهل بلنسية، وأصله من اجرده (تورية)...رحل إلى العدوة (أي إلى إفريقيا وما يتبعها من مناطق كبجاية وغيرها) واستوطن بجاية ودرس بها، وأقرأ و روى، وأسمع وصنف، وألف، وهو ممن لا ينكر فضله، ولا يجهل نبله، له تآليف حسنة، ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة، وكان أول وصوله من الأندلس إلى العدوة رسولا عن والي بلنسية>> (1).

ثم ذكر أن أمير المؤمنين " المستنصر" الحفصي، استدعاه إلى حضرته (تونس) : << فدخل عليه فأعجبه منطقه ورواه، ورأى من نبله وفضله أضعاف ما قدر أن يراه >> (2)، وأنشد بين يديه :

بشراي باشرت الهدى والنورا في قصدي المستنصر المنصورا
وإذا أمير المؤمنين لقيته لم ألق إلا نصرة وسرورا

ثم أنشد أيضا :

أمير المؤمنين لنا غياث فعند المحل تستسقى الغيوب
فلا جوع ويمناه الغوادي ولا خوف وقتلاه الليوث (3).

وكان يرى أن منزلته عند أمير المؤمنين كانت عالية، << فحظي عنده ، وبلغ لديه مأموله وقصده، وتآليفه وتقييداته وأشعاره وكتائبه متداولة بين الناس ومرغوب فيها عندهم، وموجودة لديهم، ولو لم يكن من الشعر إلا القصيدة التي رفعها لمقام الأمير أبي زكرياء رحمه الله ليستنجده ويستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية >> (4).

وختم ترجمته لهذا الأديب بذكر نموذج من شعره :

ساق من روض الأماني أرجه ولأمر ما شجا لي مدرجه
خيلت لي أنها تعدني وخيالات الفتى تستدرجه
فلذا أكذب شيف فجرها ولقد غر الحجى منبلجه
يا شقيق النفس أوصيك وإن شق في الإخلاص ما تنتهجه
لا بنت في كمد من كبد رب ضيق عاد رحبا مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقا كل كرب فعليه فرجه

---

1) عنوان الدراية :259.
2) عنوان الدراية :260.
3) عنوان الدراية :260.
4) مطلع القصيدة التي رفعها لمقام الأخير :
أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا : 257.

الأحكام النقدية في هذه الترجمة :

ــ الأديب المجيد اللغوي الكاتب البارع التاريخي.

ــ له تآليف حسنة ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة.

ــ وتآليفه وتقييداته وأشعاره وكتائبه متداولة بين الناس ومرغوب فيها عندهم.

-ولو لم يكن له من الشعر إلا القصيدة التي رفعها لمقام الأمير أبي زكرياء، لكان فيها كفاية .

9 ــ وننهي هذه النماذج بترجمته لشخصية أبي علي حسن بن الفكون (القسنطيني)، الــذي قال فيه : << ... الشيخ الفقيه الكاتب الأديب البارع أبو علي حسن بن الفكون، من الأدبــاء الذين تستطرف أخبارهم، وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر، وكأنهما أنوار الزهر...

وهو من الفضلاء والنبهاء، وكان مرفوع المقدار، ومن له الحظوة والاعتبار، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة أود أو إصلاح حال، وأصله من قسنطينة، من ذوي بيوتاتها ومن كريم أرومتها، وتواشيحه مستحسنة. ومن ملح شعره :

دع العراق وبغداد وشـــــامهما فــالنــاصرية مــا إن مــثــلهــا بــلد

بر وبحر وموج للـــــعــيــون به مسارح بان عــنــهــا الــهــم والـــنكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد (1)

الخاتمة:

لم يكتب الغبريني في النقد الأدبي شيئا مستقلا، إلا أنه مارس النقد ممارسة تطبيقية، وهــذه مهمتها جمع النصوص والتعليق عليها، ولا تهتم بالقواعد إلا نادرا.

والنظرة النقدية عنده قامت على أساسين :

الأول : أساس الدفاع عن التراث الأدبي الإسلامي في الجزائر، وذلك من خلال الشخصيات العلمية والأدبية التي درسها، وأبرز القيم الجمالية في نتاجها.

الثاني : نظرته الأخلاقية الدينية في الحكم على الفن الشعري.

وقد كانت لنا في تلك المواقف التطبيقية أو الأحكام التي أصدرها خير دليل على ذلك،

د. محمد منصوري

1) عنوان الدراية :280.

قائمة المصادر والمراجع:

1 ــ أحمد بن محمد أبو رزاق. الأدب في عصر دولـــة بنـــي حمـــاد. ش . و . ن . ت . الجزائر : 1979.

2 ــ البكري . المسالك والممالك.

3 ــ ابن خلدون . كتاب العبر ... جـــ : 6.

4 ــ ابن رشيق. العمدة ... تحقيق : مفيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت : لبنان.

5 ــ ابن عبد ربه . العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

6 ــ ابن فرحون. الديباج المذهب.

7 ــ ابن قنفذ . الوفيات. تحقيق : عادل نويهض. منشورات : دار الآفاق الجديدة. بيروت .ط 4 ، 140 هـــ 1983 م.

8 ــ ش. الحفناني. تعريف الخلف.. القسم الأول. مؤسسة الرسالة. ط 2، 1405هـ/1985 م.

9 ــ الغبريني. عنوان الدراية. تحقيق : رابح بونار. ش . و . ن . ت . الجزائر : 1981 م.

10 ــ سعيد يقطين. الكلام والخبر. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. بيروت

11 ــ العبدري . الرحلة (طبعة دوسلان) مطبعة الحكومة . تحقيق : أحمد بـــن جـــدو . مطبعة البعث.

12 ــ محمد بن سعيد الشويعر. الحصري وكتابه زهر الآداب. الدار العربية للكتاب. ليبيـــا. تونس: 1401 هـــ 1981 م.

13 ــ مصطفى الجوزو. نظريات الشعر عند العرب. دار الطليعة. بيروت . ط 1 : 1402 هـــ ــ 1981 م.

المعاجم :

14 ــ الزركلي. الأعلام. مجلد 1. ط 5 . دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.

15 ــ مجدي وهبة. معجم المصطلحات العربية. مكتبة لبنان. ط 2. 1984ز.

الدوريات :

16 ــ محمد منصوري. فن التراجم (مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغـــرب العربي جامعة تلمسان)

17 ــ مصطفى دوريش. خطاب الطبع والصنعة (رؤية نقدية في المنهج والأصول) دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ط1. 1955م.